ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا هو من باب المجاز نزل منزلة البهيمة لان
من لا يجرى على مقتضى علمه هو والجاهل سواء وله نظاير كثيرة انتهى ايضا
ومن امارات المجاز يقال زيد ليس باسد ولا يقال للسبع ليس باسد وانما
حمله على الحكم بالاشتراك تتبع العبارات الشرعية والعرفية على ما ياتى من ان
الامثلة فى مسيلة شرف العقل والحق انه مقول بالتشكيك بمعنى انه يتصف
بالقوة والضعف كالبياض والسواد فانه فى اول امره غريزة فطرية ثم
يتزايد ويقوى اشراقه ونوره فى القلب الى البلوغ فيصير حينئذ مناط
التكليف ثم الى الاربعين وقد يطلق اطلاقا مجازيا على نفس الجلوس بالبهيمة
ونفس العلم ونفس الدين من باب اطلاق اسم السبب على المسبب كما فى
قوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه ولو كانوا غضابا والصحيح ما تقرر
على راى اكثر الفقهاء الحنفية وتابعهم عليه من اهل الاصول الامام فخر
الاسلام وهو اختيار شمس الائمة والقاضى ومن تابعهما وعامة الاشعرية
ان العقل نور يضيء به طريق يبدا به من حيث ينتهى اليه درك الحواس فيبتدى
المطلوب للقلب فيدركه القلب بتامله بتوفيق الله تعالى وسمى العقل نورا
لان النور لغة هو الظاهر فى نفسه المظهر لغيره والعقل بهذه المثابة
للبصيرة التى هى عبارة عن عين الباطن كالشمس والسراج لعين الظاهر
وابتداء عمل القلب بنور العقل من حيث ينتهى اليه درك الحواس فان
الانسان اذا وقع بصره الى السماء مثلا راى بعينه رفعتها واستنارة
كواكبها وساير ما فيها من العجايب فاذا انتهى فعل حسه الظاهر شرع
القلب بنور العقل فى الاستدلال بان هذا ممكن حادث فلا بد له من
صانع قديم مدبر حكيم وهذا المعنى لا يدرك بالحس الظاهر فهذا معنى
قولهم فيدرك القلب المطلوب بتامله ان وفقه الله تعالى لذلك لان
العقل غير موجب بذاته بل هو آلة للادراك عند اهل السنة والجماعة و
هذا معنى قولهم بتوفيق الله تعالى ففيه اشارة الى ان النظر الصحيح
بعد الذهن بقبول النتيجة والنتيجة تفيض عقيبه عادة لا بطريق التوليد
كما قالت المعتزلة ومعنى التوليد عندهم ان يوجب وجود شىء
وجود شىء اخر كحركة اليد والمفتاح وهو باطل لكون الثانى مقدورا
لله فيمتنع وقوعه بغير قدرته تعالى قال فخر الاسلام الانسان فى
اول امره عديم العقل كما اخبر الله تعالى والله اخرجكم من بطون

امهاتكم

امهاتكم لا تعلمون شيئا اى ليس لكم سبب العلم وهو العقل المميز ولكن فيه
استعداد وصلاحية ويسمى هذا الاستعداد عقلا بالقوة وعقلا غريزيا
ثم يحدث فيه شيئا فشيئا بخلق الله تعالى الى ان يبلغ درجة الكمال و
يسمى هذا عقلا مستفادا وهو مناط التكليف لكن لا وقوف لنا على غاية
وكماله فاقمنا البلوغ مقامه لانه مظنته عادة كما اقمنا السفر مقام المشقة
محكما بالرخصة بمجرد السفر فكذا اقمنا البلوغ من غير افة مقام كمال العقل
والمراد بالقلب فى التعريف ما اضيف اليه الادراك كما نطق به الكتاب
قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب نزل به الروح الامين
على قلبك فتحرر مما ذكرنا ان لكل طائفة اصطلاحا وللناس فيما يعتقدون
مذاهب المسئلة الثالثة فى تفاوت العقل فى احاد الناس
التفاوت يتاتى فيما سوى الغريزة التى هى مبدا العقل التى من شانها العلم
بالضروريات واما المعقول التى هى مناط التكليف فهى متفاوتة باصل
الخلقة بمعنى ان عقل بعض البالغين اتم من بعض خلافا للمعتزلة استدل
القايلون بالتفاوت بالمعقول والمنقول اما الاول فان العقل هبة
من الله تعالى فيجوز ان يعطى الفضل للبعض دون البعض كما فى
نظر العين واما الثانى فقوله عليه السلام فى حق النساء انهن ناقصات
العقل والدين وهذا اصرح قال الامام الغزالى قدس الله روحه ومن
ظن ان عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السوادية واجلاف
البوادى فهو اخس فى نفسه منهم ولولا اختلاف العقل لما اختلف الناس
فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد وذكى ومن الادلة النقلية
ما روى ان ابن سلام سال النبى عليه السلام فى حديث طويل فى اخر
وصف عظم العرش ان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم
من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط
بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فانى خلقت العقل اصنافا
شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حبة ومنهم من اعطى حبتين
ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم وسقا ومنهم
اكثر من ذلك المسئلة الرابعة فى شرف العقل وهذا مما لا يحتاج الى
تكليف فى اثباته وانما ذكره العلماء لبيان ما ورد فيه لاسيما قد شاع
وذاع شرف العلم وانه اشرف الموجودات والعقل سببه وموصل اليه

Copyright © King Saud University